تعدد الأوجه الإعرابية والمواقف اللغوية وأثر ذلك في الدلالة

د. محمد الحسن مختار بلال

أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الإمام الهادي .

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده خير الكتب ، وجعل لغته لغة العرب ، والصلاة والسلام على أفصح العرب لساناً وأبلغهم بياناً ، النبي الأمي والرسول العربي ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سنحاول في هذا البحث أن نلقي الضوء على الأسباب التي تقود إلى تعدد الأوجه في تحليل أحد العناصر التركيبية، ملتزمين بمنهج وصفي يبتعد عن الأحكام المعيارية التي تبين التفاوت بين الأوجه، من حيث القوة والضعف.

حوت هذه الورقة على خمسة محاور جاءت كما يلي.

المحور الأول تعدد فهم المعنى بحسب معطيات المقام .

المحور الثاني: : تعدد فهم المعنى بحسب معطيات السياق

المحور الثالث تعدد فهم المعنى عن طريق التنغيم

المحور الرابع: تعدد فهم المعنى عن طريق الوقف والوصل

المحور الخامس :تعدد فهم المعنى نتيجة للغموض

مستخلص البحث

يهْدُفُ هذا البحثُ إلى إظهارِ أهمِّ أسباب الخروج عن الأصول الَّتي سنّها النَّحْوِيُّونَ للقواعد النَّحْوِيَّة، وقد رأينا -بعد إمعان النّظرَ في كتبِ النَّحْوِ كلها "قديمِها وحديثِها" - تعود إلى ما يتعلّق بالأصوات وطبيعتها المكوّنة لبنية الكلمة من نواحٍ، وإلى ما لا يتعلّق بطبيعة تِلْكَ الأصوات من نواحٍ أخرى.

وَلَعَلَّ المُتَأَمِّلَ في الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ العَرَبِيِّ القَدِيْمِ يَلْحَظُ أَنَّ النَّحْوِيِّينَ عندما بَحَثُوا أَسْبَابَ التَّحَوُّلِ عَنِ الأَصْلِ، الَّذِي يؤدّي إلى الخروج عن القاعدة فيُحدثُ اختلافاً وتعدّداً في أَوْجُه التَّحليل النَّحْوِيّ لبعض الصّيغ، ذكروا تِلْكَ الأسباب فِي أَثْنَاءِ الحديث عن مظاهر التّحوّل

وصوره، دونَ أَنْ يفردوا كلَّ موضوعٍ مِنْهَا بحديثٍ مستقلّ مُبَيِّناً في ذلكَ كلِّهِ مكانَةَ النَّحْوِ وأثَرَهُ -على اختلافِ أوجهِ تأويلاتِ النَّحْوِيِّيْنَ- في توجيهِ المعاني، وتعدِّدِ الأهدافِ، وتنوّعِ المقاصدِ، واختلافِ الدّلالاتِ.

Abstract:

This research aims at display the most important reasons for deviating from the syntactic principles formulated by syntacticians. Having looked into syntax textbooks, old and new, I find out that these rules are related to sounds and their nature which constitutes word formation, on the one hand, and to what is not related to the nature of these sounds, on the other. A contemplator of ancient Arabic linguistic practice may observe that linguists looking for the reasons of deviating from the norm, which leads to rule deviation have mentioned these reasons when discussing aspects of this transformation and its manifestations. The basic point of this study is to show the effect of deviating from the norm of linguistic rules on the direction of meaning, the multiplicity of goals and intensions, and semantic disparity.

المحور الأول

تعدد فهم المعنى بحسب معطيات المقام

تسهم عناصر معقّدة في تشكل المعنى عند المتلقي، والملاحظ أن قسماً منها نسبي يتفاوت ويختلف من إنسان إلى آخر، لأن المعنى يختلف باختلاف الناس، من حيث الوضوح والغموض، أو الاستحسان والاستهجان، أو ما يحدث من خلاف في تحديد المعنى، كما في تحديد مقصد النص، وفي تعدّد المعاني التي يحتملها، أو التعدّد والخلاف في فهم المعاني الجزئية في بعض العبارات التي تُشكّل النص، أو غير ذلك[1]

وتتنوع تلك العناصر التي تشكل المعنى، فيتمثّل جزءٌ منها بأمورٍ خارجّية يراعيها صاحب الكلام الذي يبتغي هدفاً ما، وهي جملة القرائن المحيطة بالحدث اللغوي، والتي تعرف بالمقام، ويتعلّق جزءٌ منها بالمتحدّث، وذلك من خلال الصورة الصوتية التي يؤدّى بها الكلام والتي تسمّى بالأداء، وهناك ما يتصل بالعناصر التي تُشكّل الكلام، فإن هذا الأخير عندما يجّرد من معطيات المقام يبقى له معنيً ما تولّده العناصر التي يتشكل منها، وهي ما يعرف بالسياق اللغوي، ويطلق على هذه العناصر السابقة جمعياً مصطلح السياق[2]

وإذا كان المتلقي يتميّز من سواه بجبلّته التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها وبتكوينه الثقافي فقد يصعب أن يكون معنى الكلام واحداً عند كلّ الناس، ولعلّ الأمر يزداد تعقيداً كلما سما الأسلوب بأدبيته، فمن المعروف أنّ هذا الأسلوب يعتمد الحذف والاتساع والفصل

(1) أحمد، نوزاد حسن: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ليبيا، ط١٩٩٦م. ص، ٣٢١

(2)جطل، مصطفى: نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية بجامعة حلب، ١٩٨١-١٩٨٢م ص، ٤٣٢

والتقديم والتأخير وغير ذلك من ظواهر يُلجأ إليها، فتتوسّع دائرة الاحتمالات في فهم المعنى وتتلوّن[1]

ويظهر أنّ الأمور التي أدّت إلى تعدد فهم المعنى وانعكست على التحليل النّحوي تتمثّل بمعطيات سياقية غائبة، مثل غياب المقام وغياب الأداء، وبمعطيات سياقية حاضرة مستمدة مما يشكّل المعنى، كما تتمثل بظاهرة الغموض التي تطالعنا أحياناً في عبارات النّحاة من غير أن يقصدوها، وفي بعض الألفاظ المشكلة، كالتي وردت في القرآن الكريم.

إذا كان المقام عنصراً أساسياً من عناصر المعنى فإنّ غيابه قد يجعل المعنى الدلالي محتملاً لغير وجه، مما يؤدّي إلى تعدّد في فهم المعاني النحوية وتحليلها، والمراد بالمقام جملة العناصر غير اللغويّة المكوّنة للموقف الكلامي، وبذلك يشمل مجموع الناس المشاركين في الكلام، من حيث الجنس والعمر والألفة والتربية والانتماء الاجتماعي والثقافي والمهني، والإيحاءات والإشارات العضويّة التي تصدر منهم وغير ذلك، كما يشمل ظروف الزمان والمكان التي يؤدّى بها الحدث الكلامي وتؤثر فيه، والعلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والفكرية، والعناصر الأخرى التي تؤثر في الكلام وفي غايته. فالمقام إذن هو كلّ العناصر الخارجيّة التي تحيط بالكلام وتشارك السياق اللغوي في تكوين المعنى الدلالي[2]

---

(1) أسباب التعدد في التحليل النحوي ، محمود حسن الجاسم ، بحث منشور بمجلة جامعة حلب ١٩٩٦ العدد الحادي والعشرين

(2) حسّان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها ص٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٢وحاطوم، أحمد: كتاب الإعراب ص٢١٩-٢٢٢، عبد اللطيف، محمد حماسة: النحو والدلالة ص١١٤-١١٥، وعيسى، فارس: المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث، مجلة البلقاء مج١،العدد الثاني ص١٢٩، ١٣٢ونهر، هادي: علم اللغة الاجتماعي عند العرب ص١٨٨-١٨٩.ويطلق

ويبدو أنه " كلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالي أكثر وضوحاً[1]، لذلك فإن غياب المقام يؤثر في فهم الكلام، فيجعله يحتمل غير معنى، وقد ينعكس التعدّد في فهم الكلام على عملية التحليل النحوي بتعدّد الأوجه.

ويتنوّع غياب المقام الذي يؤثر في فهم المعنى، ويؤدّي إلى تعدّد في التحليل النحوي، فقد يفتقر الكلام إلى بعض العناصر الحالية، ومن ثَمَّ يقود هذا الأمر إلى تعدّد في فهم النّص، لينعكس هذا الفهم على عمليّة التحليل النحوي. ومن ذلك مثلاً ما وقف عنده الزمخشري (٥٣٨هـ)، وهو أنّ المُغِيرَة بن شُعْبَةَ (ت٥٠هـ) قد رأى عُرْوَةَ بن مسعود(ت٩هـ) عَمَّه يكّلم النبي صلى الله عليه وسلم، ويتناول لحيته يمسّها، فقال: أمسك يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألاّ تصل إليك. فقال عروةُ: يا غُدَر! وهل غسلت رأسك من غدرتك إلاّ بالأمس؟[2] فالعناصر الحالية المحيطة بالمقال التي ارتسمت على وجه المغيرة وعلى حركاته وغيره غائبة، لذلك يتعدّد فهم المعنى، فلا يُعرف أهو يهدّد عمه بقطع يده، أي قبل ألاّ تصل يدك إليك؟ أم ينهاه بأدب، ويقصد: قبل ألاّ تصل لحية الرسول صلى الله عليه وسلم إليك، لأنه سيحول بين يد عمّه وبينها؟ إذن غياب العناصر الحالية التي تحيط بالكلام جعلت المعنى يتعدّد، وإن كان الفهم الأوّل أقوى، وهذا التعدّد في فهم المعنى ينعكس على عملية التحليل النّحوي، لأنه يتعلّق بعنصر من عناصره، وهو فاعل الفعل " تصل "، مما جعل الزمخشري لا

عليه صلاح فضل مصطلح " السياق الخارجي "، انظر: فضل، صلاح: من الوجهة الإحصائية في الدراسة الأسلوبية، مجلة فصول مج٤ ع١ ص١٣٠.

(1) المعنى اللغوي وعناصر تحديده ص١٣٢

(2) الزمخشري، جارالله محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ط(١)١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م. ج٢، ص ٢١٤ .

يجزم بعود الضمير على " اليد "، فرأى أنّه يجوز أن يعود على "اللحية"(١)، بناء على فهم المعنى الذي تعدّد لغياب المقام.

وربّما غابت عناصر المقام كلها، وأدت إلى غموض المراد من الكلام، وهو ما يطالعنا أحياناً في بعض الشواهد التي يتعدّد تفسيرها وتحليلها نحويّاً بحسب الفهم الذي يرتئيه الدارس، من ذلك مثلاً العبارة التالية: كَذَبَ عَلَيكَ الحجَّ .يورد الزمخشري رأياً لابن السّراج(ت٣١٦هـ)، فيفترض هذا الأخير مقاماً يقتضي وجود ثلاثة أشخاص جرى بينهم الحوار على الشكل التالي: شخص يريد الحج فسأل شخصاً ما عنه، أو تدخّل هذا الشخص من غير سؤال، فذم الحج، فقال الثالث :كذبَ.يريد من يذمّ الحج، ثم توجّه إلى الراغب في الحجّ، فقال له: عليك الحجَّ(٢)وبذلك يخرّج أبو بكر العبارة، بأن جعلها عبارتين، الأولى من فعل وفاعلٍ يعود على من ذمّ الحجّ، والثانية من اسم فعل ومفعول به لإغراء من يودّ الحجّ(٣). غير أن الزمخشري يرجّح تخريجاً آخر من غير أن يفترض مقاماً ما، وهو أنّ المراد بالكذب الترغيب، كقولك العرب: كذبته نفسه إذا منّته بالأماني وخيّلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون، لذلك فمعنى " كذب " هو ليرغبك، تخريج العبارة بأن يكون فاعل " كذب " ضميراً يعود على الحجّ، والمراد ترغيب المخاطب، ثم يأتي أسلوب الإغراء المؤلّف من اسم الفعل "عليك ومفعوله" الحجّ

وربّما لم يكن للعبارة مقام، فيؤدّي افتقارها إليه إلى تعدّد في تحليلها النّحوي، ويتجلى

(1) المصدر نفسه. ص ٢١٦

(2) المصدر نفسه، ٢/ ٤٠٢-٤٠٣

(3) المصدر نفسه.٢/ ٢/ ٤٠٦-٤٠٧

هذا الأمر في الأمثلة التي يعرضها النّحاة لقواعد التنظير التعليميّة، وفي المسائل التي يولّدها القياس. يمثّل أبو حيان للقواعد التي يعرضها ببعض العبارات التي تفتقر إلى المقام، ففي أثناء حديثه عن التمييز المحوّل مثلاً يذكر عبارة :"كَرُمَ زيدٌ أباً " ثُمَّ يبين أنها تحتمل أن يكون زيدٌ هو الأب، أي بمعنى :ما أكرمه من أبٍ، وتحتمل أن المراد: كرم أبو زيدٍ، وليس زيداً، ثم يعقب بأنّ التمييز في الوجه الأوّل غير منقولٍ من فاعل، فيجوز دخول " من " عليه، بخلاف الوجه الثاني الذي يبدو فيه التمييز منقولاً من فاعل[1]ولا شك أن أمثال هذه العبارات لا يتحدث بها المتكلم العادي من غير أن يستخدمها في مقام ما، ولكنّ النحوي يأتي بها من غير مقام لغاية الشرح والتوضيح لما يعرض من قواعد[2].

كما يذكر أبو حيان بعض المسائل التي ولّدها القياس، وتفتقر إلى المقام من ذلك أن نقول: زيدٌ عمروٌ ضاربه هو. إذا حذفت هو " احتمل أن يكون الضمير المجرور في " ضاربه " عائداً على " زيد"، فيكون الضارب عمراً، واحتمل أن يعود على " عمرو " ليكون الضارب زيداً .[3]فالمعنى، كما نرى، مرهون بالمقام الذي تفتقر إليه العبارة. وبذلك يتبين لنا أن غياب بعض عناصر المقام أو غياب المقام كاملاً يؤدّي إلى تعدّد في فهم الكلام الذي ينعكس على عملية التحليل النحوي.

---

(1) ارتشاف الضرّب من لسان العرب، تحقيق وتعليق مصطفى أحمد النّماس، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، د.ن، ط ١/ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ج٢/ ص ، ٣٧-٣٨٠.

(2) أسباب التعدد في التحليل النحوي ، محمود حسن الجاسم ، مديرية الكتاب جامعة حلب ١٩٩٦

(3) منهج السالك في ألفية ابن مالك، تحقيق سيدني جلاسر، نيوهافنكون يكتيكت، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٤٧م. ص ٤١.

المحور الثاني

تعدد المعنى بحسب معطيات السياق

وقد يتعدد المعنى الذي يؤثر في التحليل النحوي بسبب معطيات السياق الحاضرة والملتمسة مما يشكل المعنى، والمراد بالسياق ههنا هو كل ما يحيط ويؤثر في فهمها وتحليلها، ويتمثل بعناصر غير لغوية تعرف بالمقام وعناصر لغوية تعرف بالسياق اللغوي، فهو مجموع القرائن التي تدل على المعنى والمكونة من معطيات المقام والسياق اللغوي.[1]

وربما تعدد المعنى بسبب بعض المعطيات السياقية، وكأن يحدث نتيجة لمعطيات المقام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[2] يحتمل من خلال معطيات المقام التاريخية أن المراد عامة اليهود وعامة النصارى، وهو إخبار عن الأمم السالفة التي كذبت بالرسل والكتب من قبل، وبذلك تكون "أل" جنسية للاستغراق العرفي[3]. وقيل: إن المراد يهود المدينة ونصارى نجران الذين تماروا عند الرسول صلى الله عليه وسلم وتسابّوا، فأنكرت يهود المدينة الإنجيل ونبوّة عيسى عليه السلام، وأنكرت نصارى نجران التوراة ونبوة موسى عليه السلام، وبذلك يتبين من معطيات العناصر الحالية أن هذا الأمر هو حكاية حال في زمن الرسول صلى الله عليه

---

(1) كتاب الإعراب ص٢٠٥- ٢٢٤، ومن الوجهة الإحصائية في الدراسة الأسلوبية ص١٣٠، والمعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث مجلة البلقاء مج١ع٢ ص١٢٧-١٣٥.

(2) سورة البقرة: الآية ١١٣

(3) تفسير البحر المحيط ، أثير الدين محمد بن يوسف ، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، ط(١) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م-١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ج ١/ ص ، ٥٢٢

وسلم[1]. وقيل أيضاً: إن المراد بذلك رجلان، أحدهما من اليهود يقال له نافع بن حرملة قال لنصارى نجران: لستم على شيء، وآخر من نصارى نجران قال لليهود: لستم على شيء، فيكون قد نسب ذلك للجميع حيث وقع من بعضهم، وبذلك لا يختلف الأمر عما قبله، فهو حكاية حال حاضرة، وبهذين التفسيرين المرتبطين بمعطيات المقام الحالية تكون " أل للعهد الذهني[2].

وربما اقتضى تعدد المعنى من خلال معطيات السياق اللغوي تعدداً في التحليل النحوي. قال تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[3]. يتعدد التحليل النحوي للضمير " ها " في "عنها " بتعدد المعنى الذي يقود إليه السياق اللغوي، فيرى أبو حيان الضمير "ها " في عنها" يعود على الشجرة، لأنها أقرب مذكور، والمعنى فحملها الشيطان على الزلة بسببها، وتكون " عن" للسبب[4]. وقيل: إن الضمير يعود على "الجنة " لأنها أول مذكور[5]. وقيل: عائد على غير مذكور يفهم من المعنى المتحصل من السياق، وهو " الطاعة "، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ ، لأن المعنى :أطيعاني بعدم قربان هذه الشجرة، فعاد الضمير على معنى " الطاعة " المتحصل في السياق. وقيل : يعود على

(1)المصدر نفسه ص ٥٢٢.

(2) نفسه المصدر ، ص٥٢٣

(3) سورة البقرة: الآيتان ٣٥ - ٣٦

(4) البحر المحيط ج١ ص ، ٣١٤.

(5) المصدر نفسه ج١ ص ٣١٤.

الحالة التي كانوا عليها من الرفاهية والتفكُّه، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾[1]. وهناك أقوال أخرى مرتبطة بمعطيات السياق اللغوي.

وربما كان تعدد المعنى الذي يقود إلى تعدد في التحليل النحوي حصيلة لتفاعل معطيات السياق بنوعيها، معطيات المقام ومعطيات السياق اللغوي[2]. قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[3]. تحتمل معطيات السياق أن يعود الضمير في "قومه " [4]على موسى عليه السلام، وتذكر عن ابن عباس (ت٦٨هـ) معطيات المقام التي تجعل الضمير عائداً على موسى عليه السلام، وهو أن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين شخصاً، فتوالدوا في مصر حتى صاروا ستمئة ألف، ويعتبر موسى عليه السلام من هؤلاء القوم،[5] وبذلك يعود الضمير في " قومه " عليه. ويذكر أبو حيان معطيات السياق اللغوي التي تجعله يعود على موسى عليه السلام، وهو لأنه أقرب مذكور، ولأنه المحدَّث عنه في الآية الكريمة .وتحتمل معطيات السياق وجهاً آخر يقتضي أن يعود الضمير في " قومه " على "فرعون"، ويذكر بعضهم معطيات المقام التي تدعم هذا الرأي، وهي أنه آمنت زوجة فرعون، وخازنه، وامرأة خازنه وشبابٌ من قومه، مما يدل على أن المراد بالضمير هؤلاء. وعن ابن عطية (ت٥٤٢هـ) أن معطيات السياق اللغوي التي تؤيد

(1) البحر المحيط ج١ ، ص ٣١٥.

(2) المصدر نفسه ص ، ٣١٦.

(3) سورة يونس: الآية ٨٣

(4) البحر المحيط ٥ ج ص ، ١٨٢.

(5) المصدر نفسه ج٥ ص ١٨٣.

هذا الوجه هي ما تقدم في الآيات السابقة من محاورة موسى عليه السلام لقوم فرعون، ورده عليهم وتوبيخه لهم على قولهم: ﴿ هَٰذَا سِحْرٌ ﴾ وبذلك نرى أن كلاً من الوجهين اعتمد معطيات السياق بنوعيه، المقام والسياق اللغوي.

وقد يؤدي النص الأدبي من خلال معطيات سياقه إلى أن يجعل الكلام يحتمل أوجهاً عديدة، والمراد بالنص في هذا البحث النسيج اللغوي المدوّن والمؤلّف من سلسلة من الجمل المترابطة المنظمة التي تشكل وحدات ذات دلالات خاصة بها، تتضافر هذه الوحدات لتشكل كلاماً يؤدي هدفاً ما، وهذا الكلام هو النص(1).

ويطالعنا النص الأدبي من خلال معطيات السياق بغموض شفاف يجعل المعنى في بعض العبارات أحياناً يحتمل أوجهاً عديدة، وقد ينعكس هذا الأمر على التحليل النحوي ليجعل الأوجه متعددة أيضاً. قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(2). يحتمل التركيب " طولاً أن ينكح " في ظل السياق معاني عديدة تتجلى في التحليل النحوي، فقد رأى بعضهم أن المعنى: ومن لم يستطيع منكم وصلةً إلى أن ينكح، فقدر " إلى " قبل المصدر المؤول(3).

---

(1) استخلص هذا المفهوم من مؤلفات عديدة اختلفت في تحديد مفهوم النص، انظر: بحيري، سعيد حسن: علم لغة النص ص٩٩-١١٨، وحنفي، حسن: قراءة النص، مجلة ألف ع٨ص١١-١٢، وخليل، إبراهيم: النص الأدبي تحليله وبناؤه ص٩-١٨، والزناد، الأزهر: نسيج النص ص١١-١٧، ومرتاض، عبد الملك: ثلاثة مفاهيم نقدية بين التراث والحداثة، نظرية، أدب، نص، ضمن سلسلة قراءة جديدة لتراثنا النقدي ص٢٦٦-٢٧٥، ونصر، عاطف جودة: النص الشعري ومشكلات التفسير ص١٥-١٦

(2) سورة النساء: الآية ٢٥

(3) البحر المحيط١ج/ ٢٣٠.

وهناك من رأى أن " طولاً " بمعنى "مهراً "، أي مهراً كائناً لأن ينكح المحصنات، فقدر لام الجر قبل المصدر المؤول، ليجعله في موضع الصفة لـ " طولاً "[1] وهناك من رأى أن المصدر المؤول في موضع المفعول لأجله، فقدر لام الجر بناءً على هذا الفهم، والمعنى: طولاً لأجل نكاح المحصنات[2]. وذهب بعضهم إلى أن "طولاً " مصدر طال "، فيقول": طلتُ الشيء إذا نلته. والمعنى: ومن لم يستطيع منكم أن ينال نكاح المحصنات، وبذلك يكون المصدر المؤول من " أن " وصلتها في موضع المفعول به لـ " طولاً "[3]. وذهب بعضهم إلى أن " طولاً " بمعنى "قدرة"، والنكاح قدرة أيضاً، وبذلك يكون المصدر المؤول في موضع البدل من المفعول به " طولاً ، لأنهما يدلان على شيء واحد، وهو القدرة[4]. وأجاز بعضهم أن يكون المصدر المؤول في موضع المفعول به للفعل "يستطع "، و "طولاً " إما مفعول لأجله على حذف مضاف، أي ومن لم يستطيع منكم نكاح المحصنات لعدم طول، وإما مفعول مطلق، والعامل فيه الفعل " يستطع "، لأن فيه معنى فعل المصدر " طولاً ".(5) وبذلك يتبين لنا أن هذا الفهم للدلالات الجزئية في الآية الكريمة الذي اقتضاه المستوى الأدبي قاد إلى تعدد في التحليل النحوي.

ولا شك أن النحاة والمفسرين ينطلقون في تحليلهم النص من أمور معقدة، فردية ومكتسبة كالذوق الأدبي والمخزون الثقافي والنحوي، فتؤثر هذه الأمور في التعدد.

---

(1) المصدر نفسه ج١ ص ٢٣١.

(2) المصدر نفسه ج١ ص ٢٣٢.

(3) المصدر نفسه ج١ ص ٢٣٢.

(4) البحر المحيط١/ ٢٣١.

(5) البحر المحيط ج١ ص ٢٣١.

إذا كان المتلقي يتميز من سواه بذوقه الأدبي فإن التعدد الذي يسمح به النص الأدبي قد ينبع من هذه الخصوصية التي تتفاوت وتختلف من إنسان إلى آخر. قال تعالى﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[1]. ذهب الزمخشري إلى أن الأبلغ في أسلوب الشرط الذي يبدأ بـ " لما " أن يكون محذوف الجواب لما في ذلك من الإجازة وأداء المراد، و " كأنه" قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء "النار "[2]. وبين الزمخشري موقع جملة " ذهب الله بنورهم "على هذا الوجه، فيرى أنها تحتمل الاستئناف، وكأنها بمثابة التفسير لمن يسأل ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ كما تحتمل البدل من الجملة المقدرة على سبيل البيان[3]. على حين ذهب أبو حيان إلى أن جملة " ذهب الله بنورهم " هي الجواب، وهو الذي يتبادر إلى الذهن، لأن ذهاب الله بنورهم مترتب على الإضاءة، ورأى أن تقدير الزمخشري ذهاب عما يتبادر إلى الذهن إلى أمرٍ متكلف لا دليل عليه[4].

ويتأثر معنى النص بثقافة المفسر، ولا سيما الذي يهتم بقضايا التركيب النحوية، فإن هذه الأخيرة تعد جملة من الأنماط التركيبية التي يحفظها، والتي يستحضرها في أثناء فهم المعنى إذا اقتضى الأمر، بصفتها قواعد يقاس عليها، ومنها المطرد والقليل والنادر والشاذ

(1) سورة البقرة: الآية ١٧

(2) الكشاف ، ١ج/ ١١٠.

(3) المصدر نفسه.

(4) البحر المحيط ١/ ٢١٣.

والذي لا يجوز إلا في ضرورة ونحو ذلك، فإنه عندما يتشكّل في ذهنه معنىً ما ذو مساس بالجانب التركيبي يحاكمه في ضوء معطيات السياق وهذه الأنماط، فيقيس على المطرد من هذه الأنماط ما أمكن، وإذا لم يستطع فإنه يتدرج فيما يحاول القياس عليه، وبذلك بحسب ما يقتضيه المعنى وما تسمح به معطيات السياق، وهذه أمورٌ نسبية تختلف باختلاف الناس، ومن ثم يتأثر التعدد بالتشعب والتفريع والاختلاف والرفض والتضعيف والترجيح والجواز وغيره، من ذلك التعدد الذي حدث في " إذ " من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[1]. اختلف المفسرون في معنى "إذ" وتحليلها نحوياً في "إذ يغشيكم "، فعن الطبري(ت٣١٠هـ) أن العامل فيها الفعل " تطمئن " من " ولتطمئن به قلوبكم "[2]. وذكر الزمخشري أنه يجوز فيها أن تكون بدلاً ثانياً من " إذ يعدكم" أو منصوبة بـ " النصر من " وما النصر إلا من عند الله "، أو منصوبة بمعنى الفعل الذي تتضمنه شبه الجملة في " من عند الله "، أو بالفعل "جعل" من " ما جعله الله " أو

(1) الأنفال: ٧ - ١١

(2) البحر المحيط٤/ ٤٦١

الذي تتضمنه شبه الجملة في " من عند الله "، أو بالفعل "جعل" من " ما جعله الله " أو بإضمار" اذكر "[1]. ثم يأتي ابن عطية فيما يروى عنه، فيضعف رأي الطبري، ويوافق الزمخشري في جواز البدلية من " إذ يعدكم"[2]، ثم يضيف أنه لو جعل العامل في " إذ " شيئاً قرنها بما قبلها لكان الأولى في ذلك أن يعمل في" إذ" حكيم، لأن إلقاء النعاس عليهم وجعله أمنة حكمة من الله عز وجل .[3]ويرى أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) رأياً قريباً من هذا الذي ذكره ابن عطية، إذ يُروى عنه أنه يجوز أن يكون " إذ " ظرفاً لما دل عليه " عزيز حكيم ".[4] ثم يأتي أبو حيان فيروي بعض هذه الأوجه من غير موقف، ويقف عند بعضها الآخر مضعفاً بأسس مختلفة تتعلق بالقاعدة وأقوال النحاة أحياناً، وبالمعنى أحياناً أخرى، ثم يرجح وجه البدلية[5]، الذي بدأ به الزمخشري. وبذلك يتبين لنا أن النص الأدبي جعل جملة من الاحتمالات تصلح في فهم "إذ" وتحليلها نحويّاً، وأن الدارسين اختلفوا وفرعوا في التحليل بحسب تكوين كلٍّ منهم وثقافته، وما بدا له من معطيات سياقية.[6]

---

(1) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط(١) ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ج ٢ ص ١٩٢.

(2) البحر المحيط٤/ ٤٦١.

(3) المصدر نفسه.

(4) البحر المحيط١٤/ ٤٦١.

(5) المصدر نفسه.

(6) أسباب التعدد في التحليل النحوي،، محمود حسن الجاسم ، مديرية الكتاب جامعة حلب ، ص ٤٣.

المحور الثالث

تعدد فهم المعنى عن طريق التنغيم

ولعلّ الأمر نفسه يؤدّي إليه غياب الأداء، أي الصورة الصوتّية التي يؤدّى بها الحدث الكلامي، إذ يقود هذا الأمر إلى تعدّد في فهم المعنى الذي ينعكس على عملية التحليل النحوي، ويتجلّى الأداء في ظاهرتين معروفتين، ظاهرة التنغيم وظاهرة الوصل والوقف.

يعرَّف التنغيم بأنه تنوع الأصوات الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين، تنوعٌ يتراوح بين الارتفاع والانخفاض في أثناء النطق، وينظم علاقة الوحدات اللغوية المتتابعة في السياق ليشكل الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة[1]. وينقسم التنغيم إلى مرتفع ومستوٍ ومنخفض، ويبدو أن كل أسلوب نحوي يتفق مع نمط تنغيمي خاص به، فما يقتضيه أسلوب الاستفهام مثلاً يختلف عما يقتضيه أسلوب التوكيد، وكذلك في أسلوب النفي وأسلوب الندبة والتفجع وغيره[2] فالأساليب النحوية يقع كلٌّ منها في نمط تنغيمي خاص به.[3]

ويظهر أن للتنغيم أثراً مهماً في تشكل المعنى الدّلالي والنحوي للعبارة، حتى إن المستمع يستطيع أن يفهم مراد المتحدث اعتماداً على التنغيم[4]، وإن أهدر بعض القرائن المقالية، كأن يحذف أداة الاستفهام أو الصفة أو سوى ذلك.[5]

---

(1) أحمد، نوزاد حسن: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ليبيا، ط(١)١٩٩٦م. ص٢٦٠-٢٦١.

(2) حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة ص١٦٥، واللغة العربية معناها ومبناها ص٢٢٦، وللمزيد: عمايرة، خليل أحمد: في نحو اللغة وتراكيبها ص١٧٣.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، حسّان، تمام: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م. ص٤٧، ٢٩٧.

(4) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ص ٤٧، ٢٦٢- ٢٦٣، والحموز، عبد الفتاح أحمد: مواضع اللبس في العربية و أمن لبسها، مجلة جامعة مؤته للبحوث والدراسات مج٢ع١،ص٥٣-٥٤.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها ص٢٢٧، والمنهج الوصفي في كتاب سيبويه ص٢٩٧،٤٧، والنحو والدلالة ص ١١٨، ١٢٣-١٢٦.

وإذا كان التنغيم خاصاً باللغة المنطوقة[1]فهناك أمثلة كثيرة مكتوبة، ويجيز رسمها الكتابي أن تؤدَّى بغير صورة صوتية، فيتوقف معناها الدلالي والنحوي على طبيعة أدائها، وبذلك تتعدد أوجه التحليل لهذه الأمثلة بتعدد أنماط الأداء التي تحتملها، ولعل من أبرز الأمثلة التي يتجلي فيها الأمر بوضوح تلك التي تحتمل الاستفهام والإخبار، فالتدرج التنغيمي الذي يقتضيه أسلوب الاستفهام يختلف عما يقتضيه أسلوب الإخبار، ومما جاء في ذلك بعض الأمثلة التي تحتمل تقدير همزة الاستفهام وعدمه. قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾.[2] يتوقف معنى الآية الكريمة وتحليلها النحوي على طبيعة أدائها، إذ يحتمل أن يبدأ التدرج التنغيمي مرتفعاً، ثم يتدرج بين الانخفاض والارتفاع فيفيد بذلك معنى الاستفهام، ويحتمل أن يبدأ بنغمة مستوية فيفيد الإخبار، ولأن معطيات السياق تسمح بتعدد الأداء الغائب ذهب بعضهم إلى أن الأسلوب استفهام، وهناك همزة استفهام مقدرة، أي فاليوم ننجيك ...؟فافترض الاحتمال الأول، وذهب أبو حيان إلى أن الأسلوب إخبار، ولا حاجة لتقدير همزة استفهام[3] ، فأخذ بالاحتمال الثاني من طبيعة الأداء. ومنه قول عمر بن أبي ربيعة.[4]

عـــدد الرمـــل والحـــصى والـــتراب ثُـــمَّ قَـــالُوا: تُحِبُّهـــا، قُلْـــتُ: بَهْـــراً

يتوقف معنى جملة " تحبها " على طبيعة الأداء، فقد يكون التدرج التنغيمي مرتفعاً، ثم

(1) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ص٢٦٢-٢٦٣، واللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٨.

(2) سورة يونس، الآية "٩٢

(3) البحر المحيط ٥/ ١٨٨.

(4) ديوانه ص٤٢٣، وروايته في الديوان: عدد النجم والبهر: الغلبة.

يتراوح بين الارتفاع والانخفاض، فيفيد الاستفهام الذي يقتضي تقدير همزة في بداية الجملة، وقد يكون التدرج التنغيمي مستوياً فيفيد الإخبار.(1)

ولا يحدث هذا الأمر في تقدير الهمزة أو عدم تقديرها فقط، وإنما يقع في أنماط تركيبية أخرى تحتمل الاستفهام والإخبار، من ذلك الجمل التي تتصدرها أدوات تحتمل مبانيها الاستفهام وغيره. ومن ذلك " ما "، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(2). تحتمل "ما " النفي، فيكون الأسلوب إخباراً مؤكداً بالحصر، وتحتمل الاستفهام لغير العاقل فيكون الأسلوب استفهاماً .(3)ولا يخفى أن التدرج التنغيمي الذي يقتضيه الأسلوب الأول يختلف عما عليه الأسلوب الثاني الذي يقتضي تغيرات ملحوظة تتراوح بين الارتفاع والانخفاض بخلاف الأول.

وهناك معان أخرى لأدوات تحتمل مبانيها الاستفهام وغيره، مثل الهمزة (4)، و"كم"(5) و" ماذا "(6) و" مَنْ"، تتوقف معرفة المعنى فيها على طبيعة الأداء، ونكتفي بما ذكرناه عن " ما " من هذا النوع.

وربما كان تعدد الأداء سبباً في أن يجعل الأسلوب يحتمل الإخبار والدعاء. قال تعالى﴿

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، منشورات جامعة حلب " تصوير مغني اللبيب ص٢٠.

(2) سورة يوسف، الآية "٢٥".

(3) الكشاف ٢/ ٤٣٣..

(4)مغني اللبيب ص١٨.

(5)انظر : البحر المحيط٢/ ١٣٦، ومغني اللبيب ص٢٤٥.

(6) لبحر المحيط٥/ ١٨٨.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾[1][2]. تحتمل جملة أنعم الله عليهما " الاعتراض بين القول ومقوله " ادخلوا..."، والصفة لـ "رجلان" [3]، والحالية من "رجلان" لأنه وصف، وذلك بتقدير " قد " في صدر الجملة[4]، وإذا كانت وصفية أو حالية فالأسلوب يبقى إخباراً، أما إذا كانت معترضة فالأسلوب يتحول من الإخبار إلى الدعاء[5] الذي تفيده الجملة المذكورة. ويبدو أن الأداء الذي يقتضيه الوجه الأول والثاني يتجلى بتدرجات تنغيمية مستوية ومتواصلة، بخلاف الوجه الثالث الذي يقتضي تدرجاً تنغيميّاً مستوياً حتى المقطع " فونَ " من " يخافون "، ثم مرتفعاً واقعاً على " أنعم " بعد فاصلة تنغيمية بسيطة.

وربما أسهمت طبيعة الأداء في تعدد الأوجه للشواهد التي قد تخرج على القاعدة، فهناك بعض الشواهد التي تحتمل في ظاهرها خروجاً على القاعدة، وطبيعة أدائها غائبة، مما يجعل بعض النحاة يفترض أداءً معيناً غير الذي يتبادر إلى الذهن، ليجعل التوجيه في اعتقاده أقوى من غيره. قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾[6].ذهب الجمهور إلى أن جملة " حصرت صدورهم"

(1) سورة المائدة الآية:٢٣.

(2) مغني اللبيب ص٢٠.

(3) سورة يوسف، الآية "٢٥"

(4) الكشاف ٢/ ٤٣٣..

(5) مغني اللبيب ص٥٦٢.

(6) سورة النساء، الآية " ٩٠ ". انظر: مغني اللبيب ص١٨

تفيد أسلوب الإخبار[1]، ووقعت موقع الحال[2]، غير أن منهم من يرى أن الجملة الفعلية إذا وقعت موقع الحال، وكان فعلها ماضياً لابد أن تسبقه " قد "، وإذا لم تكن ظاهرة فهي مقدرة، لذلك قدروا " قد " قبل الجملة، وجعلوها حالاً من فاعل " جاء "[3]، وذهب بعضهم إلى أنه لا حاجة إلى تقدير " قد "، فجعلوا الجملة صفة لموصوف محذوف هو الحال، أي جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم[4]، لأن إضمار الاسم عندهم أسهل من إضمار حرف المعنى[5]، وذهب بعضهم إلى أن جعل الجملة في موضع جر، صفة لـ " قوم" في " يصلون إلى قومٍ "، ليبعد الكلام عن التقدير[6]، وذهب آخرون إلى أن الجملة بدل اشتمال من جملة " جاؤوكم "، لأن المجيء مشتمل على الحصر[7]. وعندما اعتقد المبرد أن الجملة الفعلية التي يتصدرها فعل ماض لا تقع حالاً استعان بالتنغيم ليوجه التركيب بعيداً عما سبق، إذ رأى أن الجملة الفعلية تفيد الدعاء[8]، وبذلك جعلها استئنافية. ولعل طبيعة الأداء هي التي أعانته على هذا التوجيه، لأن أسلوب الدعاء الذي افترضته يقتضي تنغيماً يختلف عنه في أسلوب الإخبار الذي انبنت عليه الأوجه السابقة[9].

---

(1) مغني اللبيب ص٥٦٢.

(2) مغني اللبيب ص٥٦٢.

(3) الكشاف١/ ٥٧٩.

(4) المصدر نفسه. ص ٥٨٠

(5) مغني اللبيب ص٥٦٢.

(6) المصدر نفسه ص ٥٦٣ .

(7) المصدر نفسه.ص٥٦٤

(8) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضَب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ببيروت، د.ت. ج٤ ص ١٢٤-١٢٥

(9) أسباب التعدد في التحليل النحوي،، محمود حسن الجاسم ، مديرية الكتاب جامعة حلب ، ص ٦٥

ولا يحدث هذا الأمر في أساليب القرآن الكريم فقط، وإنما يحدث في الشعر أيضاً. قال أحدهم:[1]

إنَّ الكَـــــرِيمَ وأبْيـــــك يَعْتَمِـــــلْ إن لَّمْ يَجِـــدْ يَوْمـــاً عَـــلَى مَـــنْ يَتَّكِـــلْ

يبدو التركيب في الجملة الشرطية غريباً، فقد جاء جار ومجرور من غير أن يأتي مفعول " يجد" ثم إن علاقة التوارد بين الألفاظ تبدو غير مريحة، ولا بد من تأويل حتى يستقيم الكلام، فقد ذكر ابن هشام عن ابن جني أن تركيب "على من يتكل " يدخل ضمن متعلقات جملة الشرط، والأصل إن لم يجد يوماً من يتكل عليه .فحذف الجار والمجرور المتعلقان بالفعل " يتكل "، وزيدت "على" قبل الاسم الموصول " من " الذي وقع مفعولاً به للفعل " يجد "[2]. غير أن بعضهم لم يرق له هذا التوجيه، فاستعان بالأداء الغائب، ليجعل أسلوب الشرط انتهى عند " يوماً "، وقدر مفعولاً به للفعل " يجد "، أي إن لم يجد يوماً شيئاً، ثم أُبتدئ بأسلوب استفهام مستقل عما قبله، والجملة استئنافية[3]. وبذلك نرى أن الأداء في التوجيه الأول غيره في الثاني[4].

المحور الرابع

تعدد المعنى عن طريق الوقف والوصل

وقد يذهب القارئ أحياناً إلى قطع السلسلة النطقيّة، ليحول أداء الكلام إلى دفعات

(1) يعتمل: يعمل لنفسه، ويحترف لإقامة العيش، والشاهد من الخمسين التي لا يعرف قائلها، انظر: كتاب سيبويه٣/ ٨١.

(2) مغني اللبيب ص١٩٢.

(3) المصدر نفسه.

(4) أسباب تعدد التحليل النحوي ، جاسم محمود ، مديرية الكتاب ، جامعة حلب ، ص ٩٥

كلامية منفصل بعضها عن بعضها الآخر، وهو في أثناء ذلك يقطع لفظاً ما عما بعده، ثم يبدأ بلفظٍ جديد، وهذا القطع هو ما يسمى بالوقف[1]. وإذا لم يفعل القارئ ذلك فإنه يجعل السلسلة النطقية ذات دفعة كلامية واحدة من غير قطع، وهذا ما يعرف بالوصل. وما من شك في أن هذا الأمر له صلة وثيقة بالمعنى، إذ نرى أن معرفة مواطن الوقف وأحكامه تشكل أمراً مهماً في فهم القرآن الكريم[2]، وما تقسيمهم الوقف إلى تام وحسن وكاف وقبيح[3] إلا دليل على ذلك، مما جعل الأئمة يحضون على تعلمه، حتى ساوى بعضهم بين تعلم أحكام الوقف وقضاياه وبين تعلم القرآن الكريم.[4]

وإذا كان هذا الأمر يتصل بالمعنى فلا تخفى صلته بالنحو أيضاً، لأن هذا الأخير جزءٌ من المعنى، لذلك نرى كثيراً من قضايا الوقف ترتبط بالنحو، مثل المواضع التي يمتنع فيها وغيره[5]، ويزداد الأمر وضوحاً إذا ما تأملنا فيما يعكسه الوصل والوقف على التحليل النحوي[6]، لأن أداء الكلام في حال الوصول قد يقتضي تحليلاً نحويّاً يختلف عنه في حال قطع أجزائه إلى دفعات كلامية منفصل بعضها عن بعضها الآخر. قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ

(1) اللغة العربية معناها ومبناها ص٢٧٠.

(2) الأشموني، علي بن محمد: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط(٢)١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣. ص٨.

(3) ابن الجزري، أبو الخير محمد: النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٤-٢٣٠، وللمزيد انظر: ظاهرة

(4) السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٨٤-٢٨٦، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء ص٩-١٠، وللمزيد انظر: الجنابي، أحمد نصيف: نظرية النظم النحوي، مجلة كلية الشريعة واللغة العربية ع١ص٢٩٨، ومفتي، خديجة أحمد: نحو القراء الكوفيين ص٢٩٢-٢٩٤.

(5) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٥.

(6) العلولا، منيرة بنت سليمان: الإعراب وأثره في ضبط المعنى ص٢١٠، وللمزيد انظر: عمر، أحمد خطاب: القراءات والوقف والابتداء، مجلة المجمع العلمي العراقي ج١مج٣٩ص٢٠٤-٢٠٥ وظاهرة الإعراب في النحو العربي ص٢٠٩-٢١١.

أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1]. يتوقف تحليل بعض العناصر النحوية في الآية الكريمة على كيفية الأداء، فإذا كان ذا سلسلة نطقية واحدة فإن الواو قبل " المؤمنون " عاطفة، والاسم بعدها معطوف على " رسول " والضمير في " كلٌّ " الذي ناب عنه التنوين عائدٌ على " الرسول" و "المؤمنون "، وإذا كان الأداء ذا دفعتين نطقيتين تنتهي الأولى بلفظ " ربه " وتبدأ الثانية بـ " والمؤمنون : فإن الواو التي سبق تحليلها في حال الوصل تكون ههنا حرف استئناف، والاسم بعدها مبتدأ، والضمير في " كلٌّ " الذي ناب عنه التنوين عائد على " المؤمنون " فقط[2]. وبذلك يبقى الأمر مرهوناً بطبيعة الأداء، ويبدو أن الأمثلة على قضايا الوصل والوقف التي تقود إلى تعدد الأوجه كثيرة جدّاً.[3]

وربما أسهمت طبيعة الأداء الذي يتحمل الوصل والوقف في تعدد الأوجه لبعض الشواهد التي تحتمل الخروج على القاعدة في ظاهرها. قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾[4]. يرى سيبويه أن "أم" منقطعة[5]، وبذلك يكون الأداء ذا سلسلتين

(1) سورة البقرة، الآية "٢٨٥".

(2) الكشاف ١/ ٣٥٨.

(3) انظر : المصدر نفسه ١/ ٧٦، ٧٨، ٣٦٦، ٤٦٥، ٢/ ١٣، ٣٣٧، ٤٣٠، ٤٨٥، ٤٩٤، ٦٤١، ٣/ ٢٦٨، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٦٦- ٣٦٧، ٤٤٦، ٤/ ٣٤٩، ٦٦٠، ٦٧٢، والبحر المحيط ١/ ١٥٩-١٦٠، ٢/ ٣٧٨- ٣٧٩، ٣٩٣- ٣٩٤، ٤٠٠- ٤٠١، ٢/ ٤١٧، ٣/ ١١٦، ٥/ ٤٦٠، ٦/ ٦٣-٦٤، ٧/ ٦٥-٦٦ ومغني اللبيب ص ٣٤- ٣٥، ٦٤- ٦٥، ٣١٧- ٣١٨، ٣٢٥- ٣٢٩، ٥٠٣، ٧١٣- ٧١٤، ٧٢٠، ٨٥٩.

(4) سورة الزخرف، الآية "٥١-٥٢".

(5) كتاب سيبويه ٣/ ١٧٢-١٧٣.

نطقيتين، تنتهي الأولى بنهاية الآية الأولى، وتبدأ الثانية بـ "أم". وذهب بعضهم إلى أن ظاهر الكلام لا يقتضي الانقطاع، وعليه تكون "أم" زائدة[1]، من حيث المعنى، والأداء ذو سلسلة نطقية واحدة، أي أفلا تبصرون أنا خير...؟ وذهب الزمخشري إلى أن "أم" متصلة، ولكي يسوغ عطف الجملة الاسمية " أنا خير" على الفعلية "تبصرون" رأى أن المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون..؟ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بصراء، فوضع السبب " أنا خيرٌ " موضع المسبب "تبصرون"[2]. وذهب بعضهم إلى أن " أم "متصلة، ولكن الأداء لا يقتضي وصلاً، وإنما يوقف على "أم" المتصلة، ومعطوفها محذوف، والتأويل: أم تبصرون، ثم يبتدأ بـ " أنا خير [3]" .

(1) الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة: معاني القرآن تحقيق: فائز فارس، الصفاة الكويت، ط(٢)١٩٨١م.١/ ٢٩-ص ، ٣٠.

(2) الكشاف٤/ ٢٦٠.

(3) مغني اللبيب ص٦٤.

المحور الخامس

تعدد فهم المعنى نتيجة للغموض

وربما تعدد فهم المعنى الذي ينعكس على التحليل النحوي بوجه آخر يختلف عما مرّ، وهو أن يكون في كلامٍ ما غموض ولا يعرف المراد منه، فيقود هذا إلى تعدّد في الفهم ينبني عليه تعدّد في التحليل النّحوي. وقد يكون هذا الأمر من غير قصدٍ من صاحب الكلام، كما في عبارات النحاة الغامضة، وقد يكون مقصوداً، كما في الحروف المقطعة وبعض الألفاظ الأخرى التي تطالعنا في القرآن الكريم.

ولعل أبرز حالات الغموض عند النّحاة تتجلى في كتاب سيبويه، إذ فيه نصوص تعاني من غموض في تحديد الحكم النحوي لما تتناول، ومن ثَمَّ يقود هذا الأمر إلى خلاف بين النحاة في فهم المراد، يتمثل بتعدد الأوجه لبعض القضايا في التحليل، قياساً على تعدد الفهم، من ذلك مثلاً حديث سيبويه عن العامل في البدل، واختلاف النحاة في فهمه، يقول سيبويه: " هذا بابٌ من الفعل يستعمل في الاسم، ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسمٌ آخر فيعمل[1] فيه، كما عمل في الأول، وذلك قولك: رأيتُ قومَك أكثرَهم...فهذا يجيء، على وجهين، على أنّه أراد رأيتُ أكثرَ قومك، لكنه ثنّى الاسم توكيداً...ويكون على الوجه الآخر...وهو أن يتكلم، فيقول: رأيت قومك. ثم يبدو له أن يبين ما الذي رأى منهم، فيقول :ثلثيهم أو ناساً منهم..."[2]. يشير ظاهر كلام سيبويه إلى أنّ العامل في البدل هو العامل في المبدل منه، وذلك

(1) أي يعمل الفعل فيه.

(2) الكتاب سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم بالقاهرة،١٩٦٦م. ج١/ ١٥٠-١٥١.

بقوله: " فيعمل فيه كما عمل في الأوّل "، ثم يذكر في موطن آخر كلاماً يختلف عما رأينا، عندما يشرح البدل في نحو :رأيت زيداً إياه، فيقول: " واعلم أنّ هذا المضمر يجوز أن يكون بدلاً من المظهر...فأما البدل فمنفرد، كأنك قلت: زيداً رأيتُ أو رأيتُ زيداً ثم قلت :"إياه رأيت"[1]. ولعلّ ظاهر كلامه ههنا يدلّ على أنّ العامل مقدّر، لذلك نرى النّحاة يختلفون في تحديد العامل في البدل، فقد ذهب أبو حيان إلى أنّ أكثر النحاة فهموا من كلام سيبويه أنّ العامل في البدل مقدّر، وهو بلفظ الأوّل، وبناء عليه فالبدل من جملة ثانية[2]، ويضيف أبو حيان مفسّراً قول سيبويه " فيعمل فيه": فأما قوله: "فيعمل فيه" فحلّ إشكاله أنّه لما كان العامل في البدل مقدّراً غير منطوق، وكان الظّاهر نائباً منابه في اللفظ نسب العمل إليه مجازاً..."[3]. وبعد أن يتبنى أبو حيان هذا الفهم يذكر أن بعض النحاة فهم من كلام سيبويه أنّ العامل في البدل هو العامل في المبدل منه، وليس على نيّة التكرار[4]، ويبدو أنهم اعتمدوا ما يدل عليه ظاهر النص الأوّل، من خلال قول سيبويه " فيعمل فيه."...

ولا يقتصر الغموض في نصوص سيبويه على تحديد العامل، وإنما يتجاوز إلى قضايا الموقع الذي يشغله اللفظ في تركيب ما، فيؤدّي تعدّد الفهم لما يريده سيبويه إلى تعدّد في

---

(1) نفسه ٢/ ٣٨٦.

(2) ارتشاف الضرب تحقيق: وتعليق مصطفى أحمد النحاس، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، د.ن، ط ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ج٢/ ص ، ٦١٩ .

(3) أبو حيان النحوي، أثير الدين محمد بن يوسف: تذكرة النحاة ص١٨٢-١٨٣، وللمزيد من هذه الأمثلة التي توضح العامل وقادت إلى تعدد في التحليل انظر مثلاً في حديث سيبويه عن العامل في شبه الجملة بعد المبتدأ: كتاب سيبويه ١/ ٤٠٦، ٢/ ٨٧-٨٩، وفي فهم النحاة لذلك انظر: ارتشاف الضرب٢/ ٥٥، وكذلك في حديثه عن العامل في " فاه " من كلمته فاه إلى في، انظر: كتاب سيبويه ١/ ٣٧٠-٣٩٣، وفي فهم النحاة لحديثه، انظر: ارتشاف الضرب٢/ ٣٣٥.

(4) ارتشاف الضرب٢/ ٦١٩.

التحليل النحوي. ويقول سيبويه عندما يتحدّث عن التعليق عن العمل لفظاً:" هذا باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدّى إلى المفعول ولا غيرِه[1]، لأنه كلام قد عمل بعضه في بعض، فلا يكون إلاّ مبتدأ لا يعمل فيه شيء قبله، لأنّ ألف الاستفهام تمنعه من ذلك، وهو قولك: قد علمتُ أعبدُ الله ثَمَّ أم زيد؟... وأما ترى أيُّ برقٍ ههنا؟ فهذا في موضع مفعول، كما أنك إذا قلت: عبدُ الله هل رأيته، فهذا الكلام في موضع المبني على المبتدأ الذي عمل فيه فيرفعه. ومثلُ ذلك ليت شعري أعبدُ الله ثَمَّ أم زيد؟ وليت شعري رأيته؟ فهذا في موضع خبر ليت، فإنما أدخلتَ هذه الأشياء على قولك :أزيدٌ ثَمَّ أم عمرو لما احتجت إليه من المعاني.[2]"

يحتمل كلام سيبويه في قوله: " ومثل ذلك ليت شعري أعبدُ الله ثَمَّ أم زيد؟" أن هذا من باب التعليق أيضاً، وبذلك تكون الجملة الاسمية المصدرة بحرف استفهام في موضع مفعولي " شعري "، كما يحتمل قوله: " فهذا في موضع خبر ليت " مثالاً لما يقع موقع الخبر، فتكون شعري بمعني مشعوري، والجملة الاسمية المصدرة بأداة استفهام في موضع خبر " ليت ". ولعل فهم كلام سيبويه هو الذي دفع النحاة إلى التعدّد في تحليل مثل هذا التركيب، فقالوا: إنّ الجملة المصدرة بأداة استفهام في مثل هذا التركيب يجوز أن تكون في موضع مفعولي " شعري "، وشعري اسم " ليت "، والخبر محذوف، تقديره كون عام، كائن أو موجود، أو أن تكون " ليت " لا خبر لها، لأن المعنى: ليتني أشعر، ويجوز أن يكون " شعري

(1) غيره" بالرفع عطفاً على " ما " من " لا يعمل فيه ما قبله "، والجر عطفاً على " الفعل " من" لا يعمل فيه ما قبله من الفعل" انظر: كتاب سيبويه١/ ٢٣٥الحاشية رقم (٢).

(2) كتاب سيبويه١/ ٢٣٥-٢٣٦.

" بمعنى " مشعوري "، والجملة الاسمية المصدّرة بأداة استفهام في موضع خبر ليت.[1]

وقد يظهر الغموض عند سيبويه في اضطراب الدلالة الاصطلاحية التي يبتغيها، فيقود اختلاف فهم النحاة لتلك الدلالة إلى تعدد في التحليل النحوي. يقف سيبويه عند الواو من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[2]. يقول سيبويه: " فإنّما وجّهوه على [أنّه] يغشى طائفةٌ منكم وطائفةٌ في هذه الحال، كأنه قال: إذ طائفة في هذه [الحال]، فإنما جعله وقتاً، ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء"[3]. لم يوضّح سيبويه معنى الحالية للواو، فجاء تمثيله قلقاً يحتمل غير وجه، فقوله: " وطائفة في هذه الحال " تجعل دلالة الحالية محتملة، وقوله: " كأنه قال إذ طائفةٌ في هذه الحال، فإنما جعله وقتاً " يدل في ظاهره على أنها بمعنى " إذ " الظرفيّة الزّمانيّة، وقوله: " ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنّما هي واو الابتداء "، يجعلها تحتمل الاستئناف، لتكون في بداية جملة، لذلك اختلف النحاة في الدلالة الاصطلاحية التي يبتغيها سيبويه لهذه الواو، ومن ثَّم تعددت الأوجه في تحليلها، فعن مكي أنّها واو الابتداء[4]، ولعله يريد بها الواو الاستئنافية التي تتصدر كلاماً منقطعاً عمّا قبله. ثم

---

(1) مغني اللبيب ص٥٠٨، ولعل الأمر لا يختلف في حديث سيبويه عن الحكاية في قولك: أوّل ما أقول إني أحمد الله، انظر: كتاب سيبويه ٣/ ١٤٣، والتعدد الذي انبنى عليه، انظر: مغني اللبيب ص٥٤، ٧٨٦، وحديثه عن " فعيل " التي تحتمل الصفة المشبهة واسم الفاعل، انظر: كتاب سيبويه١/ ١١٤، والخلاف في فهم مراده الذي أدّى إلى التعدّد، انظر: مغني اللبيب ص٥٦٨-٥٦٩.

(2) سورة آل عمران، الآية "١٥٤"

(3) كتاب سيبويه١/ ٩٠، والمعقوفات من المحقق.

(4) . مغني اللبيب ص٤٧٠-٤٧١.

أضاف أنه قيل في هذه الواو: إنها للحال، وقيل أيضاً: إنها بمعنى " إذ "[1]. ولا يخفى أثر كلام سيبويه في هذه الأوجه، فإنّه يحتملها جميعاً. ويعقب ابن هشام بأن المراد من كلام سيبويه هو أنها واو الحال، وأن تقديرها بـ "إذ" لا يقصد به أنها بمعناها، فالحرف لا يرادف الاسم، وإنما يراد بهذا التقدير أنها وما بعدها قيد للفعل السابق، كما أنّ " إذ " كذلك، ومن ذهب إلى غير ذلك فإنه وقع في وهم [2]. ونرى أن الأوجه التي تعددت في الواو قاد إليها كلام سيبويه، وما أضافه ابن هشام يدلّ على عمق نظره، ولكنه لا يلغي تعدّد الفهم، لاضطراب الدلالة الاصطلاحية كما تبيّن. ولعل ظاهرة الغموض التي رأيناها في الأمثلة السالفة لها أمثلة كثيرة في كتاب سيبويه.[3]

ويواجها الغموض عند سيبويه بمظهر يختلف عما مرّ، فقد يتناول بعض القضايا بالشرح والتفسير، فيقع في بعض جمله غموض ما يقود إلى تعدد في تفسير كلامه وتحليله نحوياً. يقول سيبويه عندما يفسر ظاهرة التثنية في الأسماء :" واعلم أنّك إذا ثّنيتَ الواحد لحقته زيادتان، الأولى منهما حرفُ المدّ واللين، وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون، يكون في الرفع ألفاً، ولم يكن واواً ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حدّ التثنية، ويكون في الجرّ ياءً مفتوحاً ما قبلها، ولم يكسر ليفصَل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية، ويكون في النصب كذلك، ولم يجعلوا النصب ألفاً ليكون مثله في الجمع، وكان مع ذا أن يكون تابعاً لما الجرّ منه أولى، لأنّ الجرّ للاسم لا يجاوزه، والرفع قد ينتقل إلى الفعل، فكان هذا أغلب

(1) المصدر نفسه.

(2)المصدر نفسه.

(3)انظر فيما قدّمه عبد الكريم جواد كاظم الزّبيدي في مؤلفه:" دراسة نحوية في علاقة بعض المسائل الخلافية بكتاب سيبويه

وأقوى.[1]"

لا يتضح مراد سيبويه في قوله:" ولم يجعلوا النصب ألفاً ليكون مثله في الجمع "، ولعل الإشكال يكمن فيما يعود عليه الضمير من " مثله "، إذ يحتمل أن يكون مراد سيبويه: ولم يجعلوا النصب ألفاً للاسم المثنّى لئلا يكون مثل ذلك في الجمع، لأنّ الواو التي هي علامة الرفع في الجمع ستكون عندئذٍ علامةً للرفع والنصب. أو يكون مراده: ولم يجعلوا علامة النصب ألفاً للاسم المثنّى، وإنما جعلوها ياءً حملاً على الجرّ، لأنّه من خصوصيات الاسم بخلاف الرفع، فلم يحملوها عليه، ليكون مثل حمل النصب على الجر في الجمع. وإذا كان الاحتمال الثاني أقوى فإن هذا لا يلغي تعدد الفهم التحليل النحوي، وهو ما يطالعنا به أبو حيان، إذ يذكر أن التفسير الأوّل يقتضي تقدير " لا " النافية التي حذفها سيبويه، وهو يريد معناها، أمّا التفسير الثاني فلا يقتضي ذلك[2]. ثم إن التعدد يحدث أيضاً في عود الضمير من " مثله " كما تبين لنا. إذن وقع التعدد بذلك في تحليل كلام سيبويه، وهو يفسر بعض الظواهر بالتعليل. ويبدو أنّ ظاهرة الغموض في عبارات النحاة بقيت شائعة بعد سيبويه، وهي في طبيعتها لا تخرج عما رأيناه[3]، فلا حاجة تدعو لأن نقف عند نماذج مشابهة.

وقد يحدث الغموض في فهم لفظ ما، فيقود ذلك إلى تعدد في معاني اللفظ المحتملة، ثم ينعكس على عمليّة التحليل النحوي، من ذلك مثلاً فواتح السّور، كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ

(1) كتاب سيبويه١/ ١٧.

(2) تذكرة النحاة تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة بيروت، ط(١)١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ص٣٢١، وللمزيد من الاطلاع على هذا النمط انظر: المصدر نفسه ص ٣٢٠.

(3) انظر: البحر المحيط ١/ ١٧٧، ٢٤٦، ٤٢٠، ٢/ ٧، ١٥٤، ٢٣٩، ٢٧١- ٢٧٢، ٢٩٨، ٣٣٤، ٣٨١، ٤٨٥، ٣/ ١٠٢، ٢١٧، ٢٥٩، ٣٢٠، ٤/ ٥٥- ٥٦، ٤١٣، ٤٤٠، ٥/ ٤٧، ٤٤٩، ٧/ ٢٥، ٨/ ٣٥، ٢٠٤، ومغني اللبيب ص ٧٤٨

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. تعدد تفسير " آلم " فبلغ شأواً بعيداً في الكثرة[2]، وانعكس هذا الأمر على التحليل النحوي، فقيل بناء على بعض التفاسير: إن هذه الفواتح أسماء للسور بعدها، وهي بذلك تحتمل أن تكون في موضع رفع، مبتدأ محذوف الخبر، أو خبراً محذوف المبتدأ، وتحتمل أن تكون في موضع نصب، بإضمار فعل، كما تحتمل أن تكون في موضع جرٍّ، على إضمار حرف القسم[3]. وقيل بناء على بعض التفاسير: إن هذه الفواتح ليست أسماء للسور التي بعدها، وإنما هي كحروف المعجم، أوردت مفردة من غير عامل، فاقتضت أن تكون مستكنّة، كأسماء الأعداد التي ترد لمجرّد العدد، وبذلك لا محلّ لها من الإعراب[4]. وهذا الذي عرضه أبو حيان في تعدد الأوجه لهذه الفواتح نبّه على أنّه مختصر، وأن النحاة توسّعوا وفصلوا، فتكلموا على ما يمكن إعرابه منها، وما لا يمكن، وعلى ما إذا أعرب فمنه ما يمنع من الصرف ومنه ما لا يمنع، وغير ذلك[5]. ولا شك أن هذا التعدد في التحليل النحوي، هو حصيلة لغموض اللفظ الذي تعددت تفاسيره.

ولا يقتصر الأمر على فواتح السور، فهناك ألفاظ أخرى تعدد تفسيرها لغموضها، وقاد ذلك إلى تعدد في التحليل النحوي .قال تعالى﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾[6]. اختلف في تفسير " ويكأن "، وقاد ذلك إلى تعدد في التحليل النحوي فقد ذهب الخليل إلى أنها كلمتان هما " وي " اسم

(1) سورة البقرة، الآية "١-٢".

(2) البحر المحيط ١/١٥٦-١٥٧

(3) المصدر نفسه ١/١٥٨.

(4) المصدر نفسه.

(5) لمصدر نفسه.

(6) سورة القصص، الآية "٨٢".

فعل يراد به التندّم، و " كأن " الداخلة على الجملة الاسمية[1]، و" الله " اسم " كأن ". وعن يونس (ت١٨٢هـ) أن الأصل " ويلك "، حذفت اللام، والكاف في موضع جرٍّ بالإضافة، وهي كلمة يراد بها التحزّن، و " أنّ " وصلتها على إسقاط الجار، وهنالك فعل مضمر، والأصل: ويلك أعجبُ لأنّ الله[2]، وعن الأخفش)ت٢١٠هـ) أنّ الأصل:"ويك" " أنّ" ، و " ويك " اسم فعل والكاف حرف خطاب، والأصل: ويك أعلم أنّ الله[3].

وعن أبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) أن " ويكأنّ " كلمة واحدة معناها " ألم ترَ أنّ "[4]. وهناك أوجه أخرى فسّرت بها هذه الكلمة[5] نكتفي بما عرضنا، ومن ثم نلاحظ أن هذا التعدد نتج بسبب غموض معنى اللفظ.

يتبين لنا مما تقدّم أن معطيات السياق الغائبة والحاضرة وظاهرة الغموض تعد من أهم الأسباب التي تجعل الكلام يحتمل غير معنى، وأن تعدد الفهم الذي يحدث نتيجة لهذه الأسباب يقود إلى تعدد في التحليل النحوي، وذلك لأن العناصر النحوية ما هي إلا معان جزئية، تسهم مع عناصر أخرى في تشكل المعنى الدلالي العام فتؤثر وتتأثر.

(1) كتاب سيبويه٢/ ١٥٤.

(2) البحر المحيط١/ ١٣٠-١٣١

(3)المصدر نفسه ج١ ، ص ١٣٢

(4)المصدر نفسه ج١ ، ص ١٣٣.

(5) المصدر نفسه ج١، ص ١٣٤.

الخاتمـــــــة

نحمد الله تعالى الذي أعانني على كتابة هذه الورقة العلمية التي كانت مجمل القول في (تعدد الأوجه الإعرابية وتأثيرها في فهم المعنى) . وهو يدل على عناية العلماء بالتحليل النحوي ، واهتمامهم بكثير من أحكامها ودقائقها . ومن خلال تفصيل هذه الدراسة خرجت بنتائج أهمها :

١ـ تتنوع العناصر التي تشكل المعنى باختلاف الناس في تحديد المعنى ، من حيث الوضوح والغموض، أو الاستحسان والاستهجان، ما لم تصاحب ذلك بجملة من القرائن المحيطة بالحدث اللغوي، والتي تعرف بالمقام، وذلك من خلال الصورة الصوتية التي يؤدّى بها الكلام والتي تسمّى بالأداء .

٢ـ يؤدّي افتقار المقام أحيانا إلى تعدّد في الأوجه الإعرابية ، ويتجلى هذا الأمر في الأمثلة التي يعرضها النّحاة لقواعد التنظير التعليميّة، وفي المسائل التي يولّدها القياس.

٣ـ أحيانا يؤدي النص الأدبي من خلال معطيات سياقه إلى أن يجعل الكلام يحتمل أوجهاً عديدة، والمراد بالنص في هذا البحث النسيج اللغوي المدوّن والمؤلّف من سلسلة من الجمل المترابطة المنظمة التي تشكل وحدات ذات دلالات خاصة بها، تتضافر هذه الوحدات لتشكل كلاماً يؤدي هدفاً ما .

٤ـ للتنغيم أثر مهم في تشكل المعنى الدّلالي والنحوي للعبارة، حتى إن المستمع يستطيع أن يفهم مراد المتحدث اعتماداً على التنغيم إن كان يقصد الإخبار أو الاستفهام في غياب بعض القرائن المقالية، كأن يحذف أداة الاستفهام أو الصفة أو سوى ذلك .

٥ـ إن ظاهرتي الوصل والوقف لهما دور عميق في فهم المعنى وذلك إذا تعددت الأوجه الإعرابية لبعض الشواهد التي تحتمل الخروج على القاعدة في ظاهرها وما تقسيم علماء القراءات الوقف إلى تام وحسن وكاف وقبيح إلا دليل على ذلك، مما جعل الأئمة يحضون على تعلمه ، حتى ساوى بعضهم بين تعلم أحكام الوقف وقضاياه ، وبين تعلم القرآن

الكريم.

٦ـ قد يحدث الغموض في فهم لفظ ما، فيقود ذلك إلى تعدد في معاني اللفظ المحتملة، ثم ينعكس على عمليّة التحليل النحوي، من ذلك مثلاً فواتح السّور، وانعكس هذا الأمر على التحليل النحوي، فقيل: إن هذه الفواتح أسماء للسور بعدها، وهي بذلك تحتمل أن تكون في موضع رفع، مبتدأ محذوف الخبر، أو خبراً محذوف المبتدأ، وتحتمل أن تكون في موضع نصب، بإضمار فعل، كما تحتمل أن تكون في موضع جرٍّ، على إضمار حرف القسم .

التوصيات :

١ـ يجب على كل مفسر ومتعلم للقرآن الكريم أن يكون ملما بالنحو العربي ، لأن فهم المعنى أحيانا يتوقف على فهم الإعراب والتعمق فيه .

٢ ـ البعد عن العبارات والكلمات التي تحتمل الغموض والإيهام واستخدام ما هو واضح وبين من الكلام مع مراعاة حال السامعين ومقامهم.

٣ـ تجنب الأسباب التي تؤدي للوقوع في الأخطاء الإعرابية التي تؤدي إلى عدم فهم المعنى فهما جيدا.

٤ـ يجب على دارس النحو أن يعتمد الوجه القوي ويترك الوجه الضعيف.

٥ـ الاستشهاد بالقراءات القرآنية في مواطن الخلاف بين النحويين ، كما هو الحال بين البصريين والكوفيين ، فتكون القراءة شاهداً قوياً يدعم قول أحد الطرفين ، ويضفي قداسة على قوله .

٦ ـ إفراد مصنفات خاصة تتعلق بالأوجه الإعرابية وأثرها في المعنى ، بعد أن كان مبثوثا في ثنايا كتب النحو واللغة والبلاغة